الرِّسَالة الثَّانية : لغة الشَّيطان مع أنبياء الله ورُسُلِه

من عالم المثاليات والقيم والأخلاق النَّبيلة إلى عالم بلا عنوان،ومن زهرات الجنان واللؤلؤ والمرجان إلى الدَّرك الأسفل من النيران هكذا يفعل الشَّيْطان بالإنسان ، حيث يذهب به كل مذهب ، فيأخذ عقله ويذهب ، فيصبح بلا إدراك ، يسكن معه ويؤانسه في حلِّه وترحاله ، في حركاته وسكناته ، ولكن ماذا يفعل الشيطان في عالم الأنبياء والمرسلين وقد عصمهم ربُّهم من مكره وكيده وحيله وخداعه ؟.

بالطبع لن تجده إلا خاسئًا محسورًا ، لا تسمع له كلمة ، ولا يُستجاب له نداء ، ولكن ليس معنى ذلك أن يلتزم الصمت ، أو أن يضع يده على خدِّه دلالة على أسفه ، ثم يسكب العبرات تعبيرًا عن ألمه وحزنه ، فهذه ليست عادته وليس هذا دأبه ، بل يحاول أن يقتحم هذا العالم بأوهامه الكاذبة وتخييلاته الباطلة وخطراته المبهمة الضعيفة لعله يظفر بشيء ما ، ولكنه يخرج في النهاية خالي الوفاض ، صفر اليدين ، مستسلمًا مقرًّا بأنَّ عالم التوحيد ليس له فيه سبيل .

وفي هذه الصَّفحات تصوير لتلك الحالات التي حاول الشَّيْطان من خلالها أن ينفذ إلى قلوب أنبياء الله ورسله :

الصُّورة الأولى : سبيل الزَّلل (ز ل ل)

عالم يضم بين جنباته كثيرًا من ألوان المتناقضات وأشكال المتعارضات ، يحيا في ظلال ناعمة يعكر صفوها صفحات قاتمة ، يسعد بزهو الحياة ، ولكنَّه يشقى بآلامها وأحزانها ، إنَّه عالم النَّفْس البشريَّة.

قد تستجيب عواطف الإنسان وتميل نفسه إلى قبول الأشياء في وقت ما وتسعد بها ، ولكن قد ترفضها في وقت آخر لكونها مصدر شقائها ، فهي تتقلَّب بين حال وأحوال ، ومذهب ومذاهب ، والشَّيْطان ليس في عجلة من أمره ، فهو يدرك حقيقة ذلك فلا يتعجل ، بل يُمنِّي نفسه ويحزم أمره ، حتى تأتي ساعة الصِّفر فيسحب البساط من تحت قدمي ابن آدم ، فيخرجه من عالم السعادة والنَّعيم إلى عالم الحزن والجحيم .

وقد تمكَّن الشَّيطان في بدء الخليقة من آدم وحواء ، فحام حول حماهما ، وعلى غرَّة دخل

openkandil.com

مسكنهما وقلوبهما ، فزيَّن لهما بخَطَراته ووساوسه الدنيئة الأكل من الشجرة التي نهاهم الله – ﷻ – عن الأكل منها فأكلا ، فوقعا في زَلَّة الخطيئة كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[1] .

فالزَّلَّة في الأصل : استرسال الرِّجل من غير قصد ، يقال : زلَّت رِجْل تزلُّ . والزَّلة : المكان الزَّلق . وقيل للذَّنب من غير قصد : زَلَّة ، تشبيهًا بزَلَّة الرِّجْل[2] .

فالزَّلَّة : الخطأ ؛ لأنَّ المخطئ زلَّ عن نهج الصَّواب[3] .

تقول : زَللت يا فلان – بالفتح– تَزِلُّ زليلا : إذا زَلَّ في طين أو منطق، وزلَّ السَّهم عن الدِّرع ، والإنسان عن الصَّخرة يزِلُّ ويَزَلُّ زلا وزليلا ومَزَلَّة : زَلِق ، وأزلَّه عنها[4] .

وأما الزَّلَّة في الآية فهي تعني الدخول في الزَّلل عن طريق الوسوسة كما ذكر المفسِّرون، حيث قيل : "﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا...﴾ فوسوس لهما الشَّيْطان ، والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزَّلل بالمعصية ، وليس للشَّيْطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان ، إنما قدرته على إدخاله في الزَّلل فيكون ذلك سببًا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه . وقد قيل : إن معنى (أزلَّهما) : من زلَّ من المكان : إذا تنحَّى ، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال[5] ".

حيث " قرأ حمزة ﴿ فأزالهما ﴾ بألف[6]، من التَّنحية ، أي نحاهما ، يقال : أزلته فزال ، قال

---

(1) البقرة من الآية 36 .

(2) المفردات ص 313 .

(3) مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق . عبد السلام محمد هارون 4/3 – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1411هـ – 1991م .

(4) لسان العرب 1853/5 .

(5) الجامع لأحكام القرآن 312/1 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 115/1، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي . حقَّقه د. شعبان محمد إسماعيل 338/1 – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى 1407هـ – 1987م .

(6) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف ص 154 – دار المعارف – الطبعة الثالثة 1400هـ .

ابن كيسان : فأزالهما من الزوال ، أي صرفهما عما كان عليه من الطَّاعة إلى المعصية ... وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى ، إلا أنَّ قراءة الجماعة أمكن في المعنى ، يقال منه : أزللته فزلَّ ، ودلَّ على هذا قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ... ﴾"[1].

إذًا " فحجة من قرأ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أنَّه جعل من الزَّلل في الدِّين، ومن ذلك قولهم : " زَلَّة العالم " ، ومن قرأ ﴿ فأزالهما ﴾ أي : أزالهما عن مكانهما من الجَنَّة ، ومعنى قوله ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي : زلاهما بقبولهما من الشَّيْطان ، كما تقول : تعلَّم زيد من عمرو كلمة أهلكته ، وإنما معناه : هلك هو بقبولها منه[2] " .

وعلى كل فإن الاستجابة لدواعي الشَّيْطان قد حدثت ، وأنَّه قد نجح في آداء مهمته ؛ لأنَّ " معناه أُزِلا بإغواء الشَّيْطان إيَّاهما ، فصار كأنَّه أزلَّهما ، كما تقول للذي يعمل ما يكون وصلة إلى أن يزلَّك من حالة جميلة إلى غيرها : أنت أزللتني عن هذا ، أي قبولي منك أزلَّني ، فصرت أنت المُزل لي[3] " .

وبآداء الشَّيْطان رسالته على أكمل وجه خرج آدم وحواء من الجَنَّة بأمر ربِّهما ، وبخروجهما زالت كل سُبُل الرَّاحة والسَّعادة الدَّائمة وبدأت رحلة الشَّقاء والعناء ، بل قل رحلة الصراع بين الشَّيطان وبني الإنسان ، حيث تعرَّف الشيطان على عنوان الطَّريق إلى قلوبهم ، ومفتاح الخروج بهم من عالم الحَقِّ إلى عالم الضَّلال , ومن ثنايا الصُّبح إلى دياجير الظَّلام ، فأصبح الإنسان في حصار وصراع بين قبول الحقِّ ورفضه إلى يوم الدِّين ، فحَقَّ عليه قول ربِّنا – ﷻ – : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾[4] .

الصُّورة الثَّانية : سبيل العمل (ع م ل)

عن طريق بعض الخواطر والوساوس التي يلقيها الشيطان في روع بني الإنسان فيثير من خلالها مشاعره وأحاسيسه وكأنَّه يداعبه من بعيد تكون بداية الرِّحلة ، ثم ما يلبث أن ينتقل به

(1) آل عمران من الآية 155 . الجامع لأحكام القرآن 311/1.

(2) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه . حقَّقه د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين 81/1 ، 82 – مكتبة الخانجي بالقاهرة – مطبعة المدني – الطبعة الأولى 1413هـ – 1992م .

(3) معاني القرآن وإعرابه 115/1 .

(4) البلد الآية 4 .

إلى مرحلة أخرى أشد ضراوة وخبثًا ، فيشعل القلب فيها نارًا ، والفكر إغلاقًا فتنشأ حالة الغضب التي هي رمز كل بلاء ، وعنوان كل داء .

ومن هنا تتحوَّل هذه الصورة النظريَّة الخفيَّة التي يقرأها العقل إلى واقع عملي يترجمه القلب ، وذلك في إطار لفظة (العمل) عند نسبتها للشَّيْطان باعتباره أهم رموز الضَّلال والفساد ، والصدِّ عن هدى النبي – ﷺ – والكتاب ، والسَّبيل إلى النِّقمة والعذاب ، فليكن الإنسان دائما وأبدًا إلى ربِّه أوَّاب ، مستغفرًا شاكرًا لأنعمه يخاف يوم الحساب حتى لا يقع في أخطار هذا السَّبيل .

والعمل بوجه عام قد يستعمل في الصَّلاح والفساد ؛ وذلك لأن " العمل يستعمل في الأعمال الصَّالحة والسيئة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾[4] ، وأشباه ذلك من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[5] ... " .

ولكن كيف يمكن قراءة هذه السُّطور الخاصَّة بعمل الشَّيطان عندما يكون الحوار مع نبي الله موسى – عليه السلام – ؟ .

لنقرأ أولا تلك الآية الكريمة التي صوَّرت هذا الحوار وجعلت منه قصَّة متكاملة الأركان يقول فيها ربُّنا –عز وجل – : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[6] .

---

(1) الكهف من الآية 107 ، ومريم من الآية 96 .

(2) النساء من الآية 124 .

(3) النساء من الآية 123 .

(4) التحريم من الآية 11 .

(5) هود من الآية 46 . المفردات 519 , 520 .

(6) القصص الآية 15 .

obeikandl.com

فعمل الشَّيْطان في الآية – كما هو واضح – نوع من أنواع الوسوسة ، يوحي بوحي الجدِّ والاجتهاد ، والتواصل في بثِّ الخَطَرات ووضع العقبات ، وتهييج المشاعر والأحاسيس حتى تنشأ حالة من الغضب ، فهذه هي مهنته التي لا يحسن غيرها ، ولا تظهر قدراته إلا من خلالها، وقد اعترف نبيُّ الله موسى – عليه السلام – بأثر ذلك في نفسه ثم تحويله إلى أرض الواقع ، حيث " قال موسى حين قتل القتيل ، هذا القتل من تَسَبُّب الشَّيْطان لي بأن هَيَّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي (إنَّه عدو) يقول : إن الشَّيْطان عدو لابن آدم (مُضِلٌّ) له عن سبيل الرَّشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال وتحسين ذلك له (مبينٌ) يعني أنَّه يُبَيِّن عداوته لهم قديمًا، وإضلاله إياهم[1] " .

وعلى هذا " فإنَّ الشيطان قد أوقد غضبه حتى بالغ في شِدَّة الوكز: وإنما قال موسى ذلك لأن قتل النَّفْس مستقبح في الشرائع البشريَّة ، فإن حفظ النَّفس المعصومة من أصول الأديان كلها ، وكان موسى يعلم دين آبائه لعله بها تلقَّاه من أمه المرأة الصَّالحة في مدة رضاعته وفي مدَّة زيارته إيَّاها ، وجملة (إنَّه عدو مضلٌّ مبينٌ) تعليل لكون شدَّة غضبه من عمل الشيطان ، إذ لولا الخاطر الشَّيْطاني لاقتصر على زجر القبطي أو كفِّه عن الذي من شيعته ، فلما كان الشَّيْطان عدوًّا للإنسان وكانت له مسالك إلى النُّفوس استدلَّ موسى بفعله المؤدِّي إلى قتل نفس أنَّه فعل ناشئ عن وسوسة الشَّيْطان ، ولولاها لكان عمله جاريًا على الأحوال المأذونة . وفي هذا دليل على أن الأصل في النَّفْس الإنسانية هو الخير ، وأنَّه الفطرة وأنَّ الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشَّيْطان في النَّفْس[2] " .

ولكن كيف استطاع الشَّيْطان أن يصل إلى قلب نبيِّ الله موسى – عليه السلام – وهو محصَّن بتحصين الله له ؟ .

يمكن أن يفسَّر عمل الشَّيْطان في الآية من خلال عدَّة " وجوه : **أحدها** : لعلَّ الله تعالى وإن أباح قتل الكافر إلا أنَّه قال الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر ، فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب، فقوله : هذا من عمل الشيطان معناه : إقدامي على ترك المندوب من عمل

---

(1) جامع البيان 541/19 .

(2) التحرير والتنوير 90/2 .

الشَّيْطان،**وثانيها :** أن قوله (هذا) إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه ، فقوله : هذا من عمل الشيطان ، أي عمل هذا المقتول من عمل الشَّيْطان ، المراد منه بيان كونه مخالفًا لله تعالى مستحقًّا للقتل، **وثالثها :** أن يكون قوله : (هذا) إشارة إلى المقتول ، يعني أنه من جند الشَّيْطان وحزبه ، يقال : فلان من عمل الشَّيْطان أي من أحزابه[1] " .

وعلى هذا فإن الشَّيْطان لم يتمكَّن من امتلاك قلب موسى- عليه السلام- ولم يكن له عليه من سلطان كما أشارت هذه التوجيهات والدَّلالات ، وعيون الأحداث شاهدة على ذلك ومقرَّة به ، وهادية إليه ، فدَلالة الحقِّ الإقرار والاعتراف به ، إضافة إلى أن " قوله : (قال هذا من عمل الشَّيْطان) يدل أن قتله إياه كان خطأ وأنه لم يكن أُمِرَ موسى بقتل ولا قتال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾[2] ".

الصُّورة الثَّالثة : سبيل الإلقاء (ل ق ى)

أصحاب الرِّسَالات السَّماوية دائمًا وأبدًا يحدِّثون أنفسهم بهداية قومهم إلى دين الله وإلى طريقه المستقيم ، أمنية يتمنَّاها كل صاحب رسالة ، ولكن هل يحبُّ الشَّيْطان النُّور أن يسطع في قلوب بني البشر وبينه وبين الحَقِّ عداوة لا يمكن أن تزول إلا بزوال هذه الحياة ؟.

هذا ما يجيب عنه هذا السَّبيل الذي يحمل هذا العنوان.

فمن سُبُل الشَّيْطان وتضليله ومكره إثارة الشُّبهات التي تهدف إلى تزييف الحقائق وإظهارها بغير صورتها حتى تبدو لقلوب أوليائه كأنَّها حقيقة ساطعة في سماء الحَقِّ وهي منها براء .

وقد تمنَّى النبيُّ محمد – ﷺ – هداية قومه وحرص على ذلك أشدَّ الحرص ، ولكن أنَّى يتحقَّق له ذلك والشَّيْطان لأمَّته بالمرصاد ؟ .

وقد حاول الشَّيْطان في هذا السَّبيل غلق جميع الأبواب التي تؤدِّي إلى تحقيق أمنية النبي محمد –ﷺ – فلا تجد مدخلا إلى قلوب قومه ، أو ألقى الشَّيْطان في قراءته ، فأدخل فيها ما ليس منها حتى يسعد بها مَنْ في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، احتمالان في تفسير

(1) مفاتيح الغيب 24 / 201 .

(2) القصص من الآية 16. معاني القرآن وإعرابه 4/137 .

obeikandi.com

(الإلقاء) في قول ربِّنا – ﷻ – : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ . لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾[1] .

فهذه الآية هي عنوان قصَّة الغرانيق ، والتي خاض فيها كثير من هؤلاء الذين لا يعرف الحقُّ إلى قلوبهم سبيلا , ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2] .

حيث قيل إن " السَّبب في نزول هذه الآية أن رسول الله –ﷺ – لما أعرض عنه قومه وشاقُّوه ، وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به : تمنَّى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفِّرهم ، لعلَّه يتخذ ذلك طريقًا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيِّهم وعنادهم ، فاستمرَّ به ما تمنَّاه حتى نزلت عليه سورة (والنَّجْم) وهو في نادي قومه ، وذلك التَّمنِّي في نفسه ، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله : ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾[3]: (ألقى الشَّيْطان في أمنيته) التي تمنَّاها ، أي : وسوس إليه بما شيعها به ، فسبق لسانه على سبيل السَّهو والغلط إلى أن قال : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجي ، وروى الغرانقة ، ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبَّه عليه ،وقيل : نبَّهه جبريل – عليه السلام – ، أو تكلَّم الشَّيْطان بذلك فأسمعه النَّاس ، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع مَنْ في النادي وطابت نفوسهم ، وكان تمكُّن الشَّيْطان من ذلك محنة من الله وابتلاء ، زاد المنافقون به شكًّا وظلمة ، والمؤمنون نورًا وإيقانًا ، والمعنى : أن الرُّسل والأنبياء مِنْ قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنَّوا مثل ما تمنَّيت ، مكَّن الله الشَّيْطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك ، إرادة امتحان مَن حولهم ، والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ، ليضاعف ثواب التائبين ويزيد في عقاب المذنبين.وقيل (تمنَّى) : قرأ ، وأنشد :

(1) الحج الآيتان 52 ، 53 .
(2) يوسف من الآية 21 .
(3) النجم الآية 20 .

obeikandl.com

تمنَّى كتاب الله أول ليلة ... تمنِّى داود الزبور على رِسْلِ[1].

وأمنيته : قراءته ، وقيل : تلك الغرانيق : إشارة إلي الملائكة ، أي : هم الشفعاء في الأصنام (فينسخ الله ما يلقي الشَّيْطان) أي يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها[2] " .

إذًا فسبيل(الإلقاء) هو تجسيد لصورة الشَّيْطان في هذه القصَّة ، " والإلقاء : طرح الشئ حيث تلقاه : أي تراه ، ثم صار في التعارف اسمًا لكل طرح[3] " .

فالشَّيْطان قد طرح كلمته في هذا السَّبيل وانتظر حتي تقَرَّ عينه بقلوب أوليائه من المشركين والمنافقين ، وقد تحقَّقت أمنيته معهما، ولكن خاب وخسر مع المؤمنين من عباد الله الصالحين ، فما زادهم هذا الأمر إلا إيمانًا بالله ورسوله – ﷺ – , وذكر القرطبي أن " الذي يظهر ويترجَّح في تأويله علي تسليمه أن النبي – ﷺ – كان كما أمره ربُّه يرتِّل القرآن ترتيلا ، ويفصِّل الآي تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثِّقات عنه ، فيمكن ترصُّد الشَّيْطان لتلك السكتات ودسُّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكيًا نغمة النبي– ﷺ – بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنُّوها من قول النبي– ﷺ – فأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السُّور قبل ذلك علي ما أنزلها الله ، وتحقِّقهم من حال النبي – ﷺ– في ذمِّ الأوثان وعيبها ما عرف منه ، فيكون ما روي من حزن النبي – ﷺ – لهذه الإشاعة والشُّبهة وسبب هذه الفتنة[4]... " .

إذًا فما كان فهو من إلقاء الشَّيْطان ، ولكن ربَّ العباد عصم منه نبيه – ﷺ – ؛ لأن الأنبياء معصومون بعصمة الله لهم ، حيث " إن الشَّيْطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهَّموا أنَّه صدر عن رسول الله – ﷺ – , وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنَّما كان من صنع الشَّيْطان لا

---

(1) هو قول حسان بن ثابت في عثمان بن عفان – رضي الله عنهما – . ينظر : البحر المحيط 353/6 ، وتفسير السراج المنير للشربيني 443/2 – دار الكتب العلمية – بيروت , وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي 173/17 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – .

(2) الكشاف 165،164/3. ويتظر : معاني القرآن وإعرابه 434/3 , وجامع البيان 663/18 , وتفسير القرآن العظيم 305/3 , والدُّر المنثور 65/6 , 66 , وتيسير الكريم الرَّحمن ص 542 .

(3) المفردات ص 685 . وينظر : الصحاح 2484/6 , ولسان العرب 4066/5.

(4) الجامع لأحكام القران 83،82/12.

من رسول الرَّحمن- ﷺ - والله أعلم[1]" .

ف " الله قد عصم الرُّسُل بما يبلِّغون عن الله ، وحفظ وحيه أن يشتبه ، أو يختلط بغيره ، ولكن هذا الإلقاء من الشَّيْطان ، غير مستقرٍّ ولا مستمرٍّ ، وإنَّما هو عارض يعرض ، ثم يزول ، وللعوارض أحكام ، ولهذا قال : (فينسخ الله ما يلقى الشَّيْطان):أي يزيله ويذهبه ويبطله ، أو يبيِّن أنَّه ليس من آياته ، و (يحكم الله آياته) أي : يتقنها ، ويحرِّرها، ويحفظها ، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشَّيْطان(والله عزيز) أي : كامل القوة والاقتدار ، فبكمال قدرته ، يحفظ وحيه ، ويزيل ما تلقيه الشَّيَاطين (حكيم) يضع الأشياء مواضعها ، فمن كمال حكمته ، مكَّن الشَّيَاطين من الإلقاء المذكور ، ليحصل ما ذكره بقوله : (ليجعل ما يلقي الشَّيَاطين فتنة) لطائفتين من الناس ، لا يبالي الله بهم ، وهم الذين (في قلوبهم مرض) ... أي : ضعف وعدم إيمان وتصديق جازم ، فيؤثِّر في قلوبهم أدني شبهة تطرأ عليها ، فإذا سمعوا ما ألقاه الشَّيْطان ، داخلهم الرَّيب والشَّك فصار فتنة له (والقاسية قلوبهم) أي : الغليظة ، التي لا يؤثِّر فيها زجر ولا تذكير ، ولا تفهُّم عن الله وعن رسوله لقسوتها،فإذا سمعوا ما ألقاه الشَّيطان ، جعلوه حجَّة لهم علي باطلهم، وجادلوا به وشاقُّوا الله ورسوله[2]...".

إذًا فقد اتضحت الرُّؤية وزالت الشُّبهة ، وانقطعت حُجَّة من يظنُّ خلافها ، ف " الله الذي يحفظ دعوته من تكذيب المكذِّبين ، وتعطيل المعوِّقين ، ومعاجزة المعاجزين يحفظها كذلك من كيد الشَّيْطان ، ومن محاولته أن ينفذ إليها من خلال أمنيَّات الرُّسُل النابعة من طبيعتهم البشريَّة ، وهم معصومون من الشَّيْطان ولكنهم بشر تمتدُّ نفوسهم إلى أماني تتعلق بسرعة نشر دعوتهم وانتصارها ، وإزالة العقبات من طريقها . فيحاول الشَّيطان أن ينفذ من خلال أمانيهم هذه فيحوِّل الدَّعوة عن أصولها وعن موازينها ، فيبطل الله كيد الشَّيْطان ، ويصون دعوته، ويبيِّن للرُّسل أصولها وموازينها ، فيحكم الله آياته ، ويزيل كل شبهة في قيم الدَّعوة ووسائلها[3] ".

(1) تفسير القرآن العظيم 3/307 .

(2) تيسير الكريم الرَّحمن ص542 .

(3) في ظلال القرآن 4/2431 .

openkanal.com

هذا , وقد وردت روايات كثيرة فيما ألقاه الشَّيطان في أمنيَّة النبي – ﷺ – وقراءته , منها : " إنهنَّ لفي الغرانيق العُلا ، وإن شفاعتهن لترتجي " , وفي بعضها : " تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجي " , وفي بعضها : " إن تلك الغرانيق العلا ، منها الشفاعة ترتجي " , وفي بعضها : " وإنهن لهُنَّ الغرانيق العلا ، وإنهنَّ لمنَّ التي ترتجي " , وفي بعضها : " تلك الغرانيق العلا ، وشفاعتهن تُرتضي ، ومثلهن لا ينسى " , وفي بعضها : " إنَّ شفاعتهن لترتجي ، وإنَّها لمع الغرانيق العلا " , وفي بعضها : " تلك إذن في الغرانيق العلا ، تلك إذن شفاعة ترتجي " ، والقصَّة – كما يزعمون – واحدة ، فما هذا الاختلاف ؟ وهل بمثله تثبت الأخبار أم تُنْقَض[1]؟! " .

فهذه القصَّة إذًا قد وردت بروايات كثيرة " ولكنَّها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم[2]" .

فهذا الحديث المسمَّي " بحديث الغرانيق : هو من ناحية السَّند واهي الأصل ، قال علماء الحديث: إنه لم يخرِّجه أحد من أهل الصِّحَّة ، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة ، وقال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي – ﷺ – بإسناد متصل يجوز ذكره ، وهو من ناحية موضوعه يصادم أصلا من أصول العقيدة ، وهو عصمة النبي – ﷺ – من أن يدس عليه الشَّيْطان شيئًا في تبليغ رسالته[3] " .

وقد ذكر الشَّيخ الألباني أنه : " قد روى البخاري في صحيحه أن النبي – ﷺ – قرأ سورة (النَّجْم) وسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجِنُّ ، وليس فيه حديث الغرانيق ، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق[4]" .

وذكر الدكتور محمد أبو شبهة بأنَّه " إذا كانت القصَّة غير ثابتة من جهة النَّقل , وهي مخالفة للقرآن المتواتر ، ومناقضة لما ثبت بالعقل ، مع تعذر التأويل ، فلا حرام أنَّ التحقيق يدعوني إلى أن أصدع بأنَّ حديث الغرانيق مكذوب مختلق ، وضعه الزنادقة ، الذين يحاولون

(1) دلائل التحقيق لأبطال قصة الغرانيق (رواية ودراية) .علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ص 233 ، 234 – مكتبة الصحابة- جدة – ومكتبة التابعين – القاهرة 1412هـ - 1992م .

(2) تفسير القرآن العظيم 3/305 .

(3) في ظلال القرآن 4/2432 .

(4) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للألباني ص 46- المكتبة الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م .

إفساد الدِّين والطعن في خاتم الأنبياء[1]".

وخلاصة الأمر " أنَّ هذه القصة باطلة منكرة ، تناقض أصول الإسلام، وقواعد الدين ، وصريح الآيات ، وصحيح المروِيَّات ، وليس لها إسناد صحيح ، ومتونها مضطربة متناقضة ، وألفاظها ينادي بعضها على بعض بالنُّكران فمثلها مردود مردود ، والحمد لله الغفور الودود[2]".

ولكن ما تطمئن إليه النَّفْس هو ما ذكره الدكتور محمد أبو شهبة من أنَّ هذا (الإلقاء) قد يوجَّه إلى أحد اتجاهين بإيجاز :

الاتِّجاه الأول : الأباطيل والشُّبه

وفي هذه الحالة تكون نسبة الإلقاء إلى الشَّيْطان حينئذ ؛ لأنَّه مثير للشُّبهات بوساوسه ، ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلا حدَّث قومه عن ربِّه ، أو تلا وحيًا أنزل الله فيه هداية لهم ، فأقام في وجهه مشاغبون يتقوَّلون عليه ما لم يقله ، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ، وينشرون ذلك بين النَّاس ...

الاتِّجاه الثَّاني : العثرات والعقبات

وذلك على اعتبار أن التمنِّي : المراد به تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النَّفْس بما كان ويكون، والأمنية من هذا المعنى: وما أرسل الله من رسول ولا نبيٍّ ليدعو قومه إلى هدى جديد ، أو شرع سابق إلا وغاية مقصوده ، وجلُّ أمانيه أن يؤمن قومه ، وكان نبيُّنا من ذلك في المقام الأعلى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[3] ، ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[4] , ويكون المعنى : وما أرسلنا من رسول ولا نبيٍّ ، إلا إذا تمنَّى هذه الأمنية السَّامية ، ألقى الشَّيْطان في سبيله العثرات وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور النَّاس ،

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د.محمد بن محمد أبو شهبة ص 405 – مكتبة السنة – الطبعة الرابعة .

(2) دلائل التحقيق لأبطال قصة الغرانيق ص 236 .

(3) الكهف الآية 6 .

(4) يوسف الآية 103 .

فثاروا في وجهه , وجادلوه بالسِّلاح حينًا وبالقول حينًا آخر[1].

إذًا فهذه أبواب من أبواب الخداع والتَّضليل يثيرها هؤلاء المنافقون الذين يحاولون هدم صرح الرِّسَالة المحمديَّة وتقويض بنيانها ، يساعدهم على ذلك ما يمليه الشَّيْطان عليهم من وساوس ودسائس وشبهات ، ولكن الله – ﷻ – دائمًا وأبدًا يؤيِّد رسله بجنده ، وبحلاوة اللسان ومنطق الكلام الذي يدحض به شبهة هؤلاء ويرد كيدهم مذءومًا مدحورًا ، فيثبت الحق في وجوه أعدائه ، ويزول الباطل بكل آثاره ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2].

وبعد , فلتتوقَّف الألسنة عن الخوض في هذه المسائل بعد أن تبيَّن وجه الحقيقة فيها , ولتكف الأقلام عن سمومها التي تخطُّها هنا وهناك ، فلقد سطع برهان الحق ، وزال آثار الشَّكِّ ، واطمأنَّت القلوب وهدأت ، وأبطل الله كيد الكائدين ومكر الماكرين ، ورَدَّ سهامهم إلى نحورهم ، فهنيئًا للمؤمن بإيمانه ، وسحقًا لصاحب بدعة أو ضلالة , ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[3] .

الصُّورة الرَّابعة : سبيل النَّزغ (ن ز غ)

تحتاج الحياة التي نحياها في عالم البشريَّة دائمًا إلى رفيق ، وكلما زاد عدد الرفقاء – وخاصَّة إذا كانوا صالحين – كلما تحصَّن الإنسان بما يشدُّ أزره ويقوي عضده فلا تقوى عليه الهموم والأحزان ، وإنما تأتيه الدُّنيا راكعة ، فيحيا حياة الفرسان ، سليم الصدر قوى البنيان ، ولكن إذا تمكَّن منه رُفقاء السُّوء ضعفت نفسه وضاعت هيبته، وركع أمام شهواته ونزواته فأصبح ميِّتًا وهو يعيش بين الأحياء .

ولذلك عندما تبدأ فكرة التعارف بين بني البشر فغالبًا ما تكون مصحوبة بنوع من الحرص والحذر ، ومزيد من التروِّي والتأنِّي حتى يزول أثر كل منهما ، وتتلاشى كل مقوِّماته مع الزَّمن ، فتشتدُّ الرَّوابط وتتمكَّن الألفة والمحبة بينهم ؛ وذلك لأنَّ قبلة الحياة تتحدَّد

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 406 .
(2) الإسراء الآية 81 .
(3) التوبة من الآية 124 ، والآية 125 .

openkanar.com

معالمها وتتغيَّر اتجاهاتها من خلال صحبة هؤلاء الرُّفقاء ، الذين إمَّا أن تزدان بهم الحياة ، وإما أن تلفظهم مِنْ عليها ، وهكذا تكون لغة الحوار والتعارف بين الشَّيْطان وبني البشر .

فمسابقة العَدْو لمسافات طويلة تدعو المتسابق أن ينظِّم أنفاسه ويرشِّد طاقته حتى يصل إلى هدفه وغايته ، وكذلك يبدأ الشَّيْطان بالنَّزْغ الذي هو أول درجة من درجات الوسوسة كنوع من أنواع التآلف والتَّراحم بينه وبينهم.

فنزغ الشَّيطان يمثِّل هذه البداية ، حيث يقول الزَّجاج عنه : أدنى حركة تكون , تقول : قد نزغْته : إذا حرَّكته[1]، ومن الشيطان أدنى وسوسة[2] .

فـ " النَّزْغ : أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم ، ونزغ بينهم ينزَغُ وينزِغُ نَزْغًا : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض ، والنَّزْغ : الكلام الذي يغري بين الناس ، ونَزَغَه : حرَّكه أدني حركة ، ونزغ الشيطان بينهم ينزَغُ وينزِغُ نزغًا : أي أفسد وأغرى[3] " .

ولم ترد لفظة (النَّزْغ) في القرآن الكريم إلا منسوبة للشَّيْطان ، وذلك من خلال أربع آيات , الأولى منها على لسان نبيِّ الله يوسف – عليه السلام – ، وذلك عندما حدَّث بنعمة الله عليه بعد أن جمع الله بينه وبين إخوته وتلاشت بينهما كل خَطَرات الشَّيْطان ، ثم في ثلاث آيات أخرى لتحذير نبيِّه محمد – ﷺ – وأمته من اتِّباع هذا السَّبيل وغلق جميع الأبواب التي تؤدِّي إليه .

فالآية الأولى يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4] .

فهذه الآية تصوِّر تلك الوساوس التي ألقاها الشَّيْطان في قلوب إخوة يوسف للكيد والمكر به , فاستجابوا له ، وأبعدوه عن أبيه ؛ وذلك بما صوَّره الشَّيْطان لهم من حُبِّ أبيهم له

(1) معاني القرآن وإعرابه 396/2 .
(2) الجامع لأحكام القرآن 347/7 , 348 . وينظر : معالم التنزيل 317/3 .
(3) لسان العرب 4397/6 .
(4) يوسف الآية 100 .

وتفضيله عليهم ، فأوقع الحسد في قلوبهم ، فأفسد علاقة المحبَّة التي كانت تجمع بينهما .

ولذلك قيل : " ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾ بإيقاع الحسد ؛ قاله ابن عباس، وقيل: أفسد ما بيني وبين إخوتي ،أحال ذنبهم على الشَّيْطان تكرمًا منه[1] " .

فالحسد صورة من صور الفساد تلوَّن بها الشَّيْطان حتى لا يدع لتآلف البشرية بابًا ، ولا لمحبة قلوبهم دليلا ، فيظل الصِّراع بينهم قائمًا حتى تلفظ الحياة أنفاسها الأخيرة .

وأما الآيات الثَّلاث الأخرى فهي لغة الحوار بين ربِّ العباد – ﷻ – وخاتم أنبياءه ورُسُله ، وكذلك أمَّته من بعده حرصًا على الهداية ، وحذرًا من طرق أبواب الضَّلال.

فالآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[2] .

والآية الثانية : قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3] .

والآية الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾[4] .

فالنَّزْغ في الآيات الثلاث سبيل من سُبُل الوسوسة يلجأ إليه الشَّيطان ليحمل الإنسان على الغضب ؛ وذلك لأنه يعلم أن الغضب عنوان كل إثم ، وحصاد كل منكر ، فيحذِّر الله نبيِّه – ﷺ – وأمَّته من الاستجابة لهذا الإفساد ، ثم الإعراض عنه ، وذلك على توجيه الدلالة في الآية الأولى والثانية : " وإما يغضبنَّك من الشَّيْطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم [5]" .

أو إمَّا : " يصيبنَّك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحلُّ[6]" .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 267/9 . وينظر : مجاز القرآن 319/1 ، ومعالم التنزيل 281/4 .

(2) الأعراف الآية 200 .

(3) فصلت الآية 36 .

(4) الإسراء الآية 53 .

(5) جامع البيان 332/13 .

(6) الجامع لأحكام القرآن 347/7 . وينظر : مجاز القرآن 236/12 ، ومعالم التنزيل 317/3 ، وتيسير الكريم الرَّحمن ص313 .

وعلى ذلك فإن " نزغ الشَّيْطان : وساوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي ، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه ؛ وقال الزَّجاج : معناه إن نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن الاحتمال ، فاستعذ بالله من شرِّه وامض على حكمك[1] ".

فليحذر بنو الإنسان من أمَّة محمد – ﷺ – من رحلة البداية مع نزغ الشَّيْطان ؛ لأن البداية هي مدخل كل سوء إن لم يدركوا خطرها .

" واحتج الطاعنون في عصمة الأنبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبي معصومًا لم يكن للشَّيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الاستعاذة . والجواب عنه من وجوه ، الأول : أن معنى الكلام إن حصل في قلبك نزغ من الشَّيْطان فاستعذ بالله وإن لم يحصل له ذلك البتة فهو كقولك لئن أشركت وهو برىء من الشِّرك البتة . والوجه الثَّاني : على تقدير أنَّه لو حصل وسوسة من الشَّيْطان لكن الله – ﷻ – عصم نبيَّه – ﷺ – عن قبولها وثبوتها في قلبه ... الوجه الثَّالث : يحتمل أن يكون الخطاب للنبي – ﷺ – والمراد به غيره ومعناه : وإما ينزغَنَّك أيُّها الإنسان من الشَّيْطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ "[2] .

ثم يأتي توجيه الدلالة في الآية الثالثة : " وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة ... وقوله : (إن الشَّيْطان ينزغ بينهم) يقول: إن الشَّيْطان يسوء محاورة بعضهم بعضًا ينزغ بينهم ، يقول : يفسد بينهم ، ويهيج بينهم الشَّرَّ[3] " .

فالشَّيْطان في هذا السَّبيل يريد إفساد حياة أنبياء الله ورسله عن طريق أولى خَطَراته وأدني درجاته لعل سلته تمتلأ بما يريح ظمأ قلبه وهواجر حياته ، ولكن عين الله ترعاهم وتحميهم ، وتحفظهم من كل إثم، فتسعد بهم الحياة الدنيا والآخرة ، ويسعد بهم كل من نهج نهجهم واقتفى آثارهم ، فالنَّجاة كل النَّجاة في اتِّباع سبيلهم ، والخزي كل الخزي في اتباع ألدِّ

(1) لسان العرب 6/ 4397 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 2/396 .

(2) النحل من الآية 98 . لباب التأويل في معالم التنزيل (تفسير الخازن)2/329– دار الفكر – بيروت – لبنان 1399 هـ – 1979 م .

(3) جامع البيان 17/469 . وينظر: مجاز القرآن 1/383 .

obeikandl.com

أعدائهم ، وهو مَنْ تفقد به الحياة كل مقوِّماتها الجميلة وسُبُل سعادتها ، ألا وهو الشَّيْطان : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1] .

الصُّورة الخامسة : سبيل النِّسيان (ن س ي)

هل مِنْ البشر جميعًا من طابت نفسه وسكن قلبه وقرَّت عينه فاستقرَّ على بحر هدأت أمواجه ، فاستخرج منه لؤلؤه ومرجانه ، فحيا حياة الملوك العظام ، فأزهرت حياته ، وأورقت ثمار السَّعادة والوفاق ، وأينعت حتى كادت أن تحتضن السماء ؟! .

قد يكون ذلك في عالم الخيال والأحلام ، ولكن في عالم الحقيقة والواقع فلا تخلو الحياة من الأحزان والأشجان ، والشَّقاء والحرمان ، فكان من فضل الله – ﷻ – بهم أن كتب عليهم النِّسيان رحمة ورأفة بهم في كثير من الأحيان ، حتى تستقرَّ حياتهم وتهدأ نفوسهم ، ولكن عندما يهمُّ الإنسان بأمر خير ورشاد فيصرف عنه وينساه يصبح بذلك النِّسيان سبيلا من سُبُل الشَّيْطان .

فالنِّسيان – بكسر النون – : ضِدُّ الذِّكر والحفظ [2] .

أو هو : " ترك الإنسان ضبط ما استودع ، إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلته ، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره . يقال : نسيته نسيانًا ... وكل نسيان من الإنسان ذمَّه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمُّد . وما عذر فيه نحو ما روى عن النبي – ﷺ – : رفع عن أمتي الخطأ والنِّسيان ، فهو ما لم يكن سببه[3] " .

وأما عن (النِّسيان) ونسبته للشَّيطان فلم يرد في القرآن الكريم إلا في ثلاث آيات ، والخطاب فيها جميعًا لأنبياء الله ورسله ، تبدأ بخير البشرية محمد – ﷺ –، ثم يوسف ويوشع بن نون – عليهما السلام – .

---

(1) فاطر الآية 6 .

(2) لسان العرب 4416/6 .

(3) المفردات ص 748 . ورد الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بعبارة : (قال رسول الله – ﷺ – إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وماااستكرهوا عليه) . سنن البيهقي الكبرى . تحقيق . محمد عبد القادر عطا 356/7 – دار الباز – مكة المكرمة 1414هـ – 1994م .

obeikandi.com

فالآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة رسالة من ربِّ العباد – ﷻ – إلى نبيِّه محمد –ﷺ – ، فحواها أنَّ كلمة الإيمان والكفر لا يمكن أن تجتمع على أمر سواء ، فكلاهما ينتمي إلى عالمه الخاصِّ به ، فـ " إذا رأيت يامحمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها عليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك ، وخوضهم فيها ، كأن استهزاءهم بها ، وسَبَّهم مَنْ أنزلها، وتكلَّم بها ، وتكذيبهم بها ، فأعرض عنهم ، يقول : فصدَّ عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم ، حتى يخوضوا في حديث غيره ، ... حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم ، وإما ينسينَّك الشَّيْطان بقوله : وإن أنساك الشَّيْطان نهينا عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ، ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظَّالمين الذين خاضوا في غير الذين لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه . وذلك هو معنى" ظلمهم" في هذا الموضع[2] " .

ولكن ليس معنى إنساء الشَّيْطان في هذه الآية سيطرته وسلطانه ولكنه عارض من عوارض البشر ، وقد عصم الله نبيَّه محمدًا– ﷺ – من هذا النِّسيان الذي يخالف شرع الله ومنهجه في تبليغ رسالته فقال سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3] ، وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله – ﷺ – : (ما منكم من أحد إلاوقد وكل به قرينه من الجِنِّ وقرينه من الملائكة ، قالوا وإيَّاك يارسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلابخير)[4] .

وأما الآية الثَّانية : يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

(1) الأنعام الآية 68 .

(2) جامع البيان 436/11 .

(3) الأعلى الآية 6 .

(4) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي . تحقيق د. علي حسين البواب 137/1 – دار ابن حزم – بيروت – لبنان 1423هـ – 2002 م .

openkandil.com

ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[1] .

فهذه الآية تصوِّر حال نبيِّ الله يوسف – عليه السلام – عندما قال : "﴿ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ من القتل إضمار ، وهو السَّاقي ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني سيِّدك ، فإنه يَسرُّني أن يخرجني من السِّجن ، يقول الله ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ يعني يوسف دعاء ربِّه ، فلم يدع يوسف ربَّه الذي في السَّماء ليخرجه من السِّجْن ، واستغاث بعبد مثله ، يعني الملك ، فأقرَّه الله في السِّجْن عقوبة حين رجا أن يخرجه غير الله – عزَّ وجلَّ – ، فذلك قوله : ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يعني خمس سنين ، فكان في السِّجْن اثنتي عشرة سنة ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2]" .

فهذا هو تفسير (النِّسيان) في حق يوسف – عليه السلام – , حيث " أنسى الشَّيْطان السَّاقي ذكر يوسف للملك ، تقديره : فأنساه الشَّيْطان ذكر ربِّه ، قال ابن عباس : وعليه الأكثرون : أنسى الشَّيْطان يوسف ذكر ربِّه حين ابتغى الفرج من غيره واستغاث بمخلوق ، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشَّيْطان[3] " .

إذًا فخلاصة النِّسْيان هنا أنَّه : " أنسى الشَّيْطان يوسف أن يجعل ذكره ومستغاثه إلى الله . ويقال : أنسى الشَّيْطان السَّاقي أن يذكر أمر يوسف[4] ".

ويقوِّي هذا ما يأتي من قوله : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[5].

وأما الآية الثَّالثة : قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[6] .

---

(1) يوسف الآية 42 .

(2) يوسف الآية 35 . تفسير مقاتل بن سليمان 150/2 .

(3) معالم التنزيل 244/4 . وينظر : جامع البيان 109/16، 111 ، وتفسير ابن أبي حاتم 2149/7 ، والجامع لأحكام القرآن 195/9 .

(4) معاني القرآن للفراء 46/2 .

(5) يوسف الآية 45 . هامش معاني القرآن وإعرابه 112/3 .

(6) الكهف الآية 63 .

obeikandl.com

وتوجيه النِّسيان في هذه الآية كما قال المفسِّرون : "﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ أي تركته وفقدته ، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد . وقيل في الآية إضمار معناه : نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ أي : وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشَّيْطان[1] " .

فهذه هي حقيقة النِّسيان من الشَّيْطان مع أنبياء الله ورسله كما وجَّهته سياق الآيات وأدلة المفسِّرين ، فلا حقيقة إذًا لخَطَراتهم في عالمهم الملائكي المحفوظ بحفظ الله له ، والمعصوم بعصمته له , فلا مجال لتضييع حقٍّ من حقوق ربِّهم ورسالته التي أوحى بها إليهم ، بل لحكمة أرادها الله بهم وبأمَّتهم , فجائز أن يقع النِّسيان منهم ولكن دون أن يكون للشَّيْطان عليهم سلطان بخَطَراته أو هَمَزاته ، والدَّليل على ذلك كثير من الآيات في حقِّ أنبياء الله ورسله وهي :

1 – في حقِّ آدم – عليه السلام – ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[2] .

2 – في حقِّ موسى ويوشع – عليهما السلام – ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[3].

3 – في حقِّ موسى – عليه السلام – ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾[4] .

4 – في حقِّ خاتم الأنبياء والمرسلين– ﷺ –،قال تعالى:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[5].

فالنِّسيان أمر كتبه الله –عز وجل – على البشريَّة جميعًا ، حيث قال: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[6] .

---

(1) معالم التنزيل 187/5 . وينظر : تفسير مقاتل بن سليمان 295/2 .
(2) طه الآية 115 .
(3) الكهف من الآية 61 .
(4) الكهف من الآية 73 .
(5)الكهف من الآية 24.
(6) البقرة من الآية 286 .

فمَنْ ذا الذي يسلم من النِّسيان , وبه سُمِّي الإنسان إنسانًا , فسبحان صاحب الكمال والقدرة المنزَّه عنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[1] ، و﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[2] .

الصُّورة السَّادسة : سبيل الهَمَزات (هـ م ز)

تعرَّض النبيُّ محمد – ﷺ – وأصحابه لقسوة المشركين وآذاهم منذ جهر بدعوة التَّوحيد ، وأعلن للبشريَّة جميعًا أنه رسول ربِّ العالمين ، حيث تعالت أصوات حاقديه وحاسديه رغبة في هدم دعوته واستئصال شوكته ، والقضاء على رسالته ولكن رحمته ورأفته بأمَّته حالت بينه وبين الدُّعاء عليهم بالغرق أو الخسف أو الهلاك والدَّمار ، أو الصيحة أو الصَّاعقة أو غير ذلك كما كان حال مكذِّبي الأنبياء قبل بعثته , أو أن يدفع بالسَّيئة السَّيئة وإنَّما بالتي هي أحسن ، فصبر وصابر واحتسب كما أمره ربُّه سبحانه وتعالى ، فتلك رسالة أولى ، أعقبتها رسالة ثانية بالتعوِّذ من هَمَزات الشَّيَاطين حتى يظلَّ قلبه دائمًا وأبدًا موصولا بربِّ العالمين ، أمن الخائفين ، وهداية الضالِّين الحائرين ، حافظ الأنبياء والمرسلين ، يقول الله تعالى ذكره : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ، وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[3].

" والهمز مثل اللمز وهمزَه : دفعه وضربه ، وهمزته ولمزته ولهزته ونهرته : إذا دفعته ... وهمز الشَّيْطان الإنسان همزًا : همزه في قلبه وَسْواسًا، وهمزات الشَّياطين : خَطَراته التي يُخْطِرُها بقلب الإنسان[4] " .

وقد فُسِّرت هَمَزات الشَّيَاطين في الآية بمعنى : نزغاتهم ، أو وساوسهم ، أو نفثهم ونفخهم ، وقال أهل المعاني : دفعهم بالإغواء إلى المعاصي ، وأصل الهمز : شدَّة الدَّفع[5] .

وعلى ذلك فـ " الهمز من الشَّيْطان : عبارة عن حثِّه على العصيان والإغراء به كما يهمز الرَّائض الدَّابة لتسرع[6] " .

---

(1) مريم من الآية 64 .
(2) طه من الآية 52 .
(3) المؤمنون الآيتان : 96 ، 97 .
(4) لسان العرب 6/4698، 4699 . وينظر : الصحاح 3/902 .
(5) معالم التنزيل 5/428 .
(6) البحر المحيط 7/583 .

obeikandl.com

فالهَمَزات خَطَرات يخطر بها الشَّيْطان على عقول بني الإنسان ، يحاول من خلالها تحريضهم على عصيان ربِّهم ومخالفة أوامره ، واتِّباع نهج غير نهجه حتى يحقِّق مأربه ، ويسمع صدى مفعَّلا لصوته ، وهي بذلك قريبة من نَزَغَاته , حيث فُسِّرت بذلك في الآية ، فقيل في قوله تعالى : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ :" أي نَزَغَات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى ... أمر الله تعالى نبيَّه – ﷺ – والمؤمنين بالتعوِّذ من الشَّيْطان في هَمَزَاته ، وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه ، وكأنَّها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المحادَّة ، فلذلك اتَّصلت بهذه الآية . فالنَّزَغَات من سورات الغضب الواردة من الشَّيْطان هي المتعوذ منها في هذه الآية[1] " .

" أو أن يكون أمره بالتعوِّذ من هَمَزَات الشَّيَاطين مرادًا به الاستمرار على السَّلامة منهم[2]".

فالنبيُّ – ﷺ – معصوم من هذه الهَمَزَات وغيرها ، حيث قال القاضي عياض : " واعلم أن الأمَّة مجمعة على عصمة النبي – ﷺ – من الشَّيْطان في جسمه وخاطره ولسانه[3]" .

" ويجوز أن تكون جملة ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ عطفًا على جملة ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴾[4] بأن أمره الله بأن يلجأ إليه بطلب الوقاية من المشركين وأذاهم ، فيكون المراد من الشَّيَاطين المشركين فإنهم شياطين الإنس كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾[5] ، ويكون هذا في معنى قوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[6] فيكون المراد : أعوذ بك من هَمَزَات القوم الظَّالمين ، أو من هَمَزَات الشَّيَاطين منهم[7]".

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 148/12 . وينظر : البحر المحيط 583/7 .
(2) التحرير والتنوير 121/18 .
(3) تفسير الخازن 329/2 .
(4) المؤمنون الآية 93 .
(5) الأنعام من الآية 112 .
(6) الناس من الآية 6:1.
(7) التحرير والتنوير 121/18.

obeikandl.com

فالشَّيْطان عندما يتعامل مع بني البشر بوجه عام له سُبُله التي ينفذ من خلالها إلى عقولهم ، ويستولي بها على قلوبهم ، ولكن رُسُل الله – صلوات الله عليهم – فليس للشَّيْطان عليهم من سبيل ، ولكنَّ أمر الله – ﷻ – لنبيِّه – ﷺ – بالتعوِّذ من هَمَزَاتهم فذلك من قبيل الطَّبيعة البشريَّة التي لا ينقص ذلك من قدرها , ولا يقلِّل من قيمتها ، فهم المعصومون بعصمة الله – ﷻ – لهم ، والمحفوظون بحفظه لهم ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] .

الصُّورة السَّابعة : سبيل الوسوسة (وس و س)

ما أكثر ما تجود به قريحة الشَّيْطان ، وما ينطق به لسان حاله، يخطف الأبصار ، ويأخذ بالقلوب والألباب ، ويصنع جبالا رواسي من الأوهام , يرتدي كل لحظة ثيابًا ، ولا يغفل ليلا أو نهارًا ، يسكن قصور السعادة بشقاء بني آدم ، لم يخل بيت من صوره وأشكاله ، حتى إذا جاء إلى بيوت الأنبياء تسلَّلها خلسة وقصدها على استحياء ، فعالمهم محاط بسياج العِزَّة والكرامة والعناية والرِّعاية والعصمة والهداية , ولكن لحكمة أرادها خالق الأرض والسَّماوات من عمارة الأرض وإقامة شرعه فيها يزيِّن الشيطان لآدم – عليه السلام – ويُجَمِّل له المعصية ، فيستجيب وزوجه لها ، ولكن ما هي إلا لحظات حتى تتلاشى كل أوهامه ، ويذهب مكره وخداعه ، ويزول تأثيره بإعلان التَّوبة والولاء لله سبحانه وتعالى.

وقد جَسَّدت آيتان من كتاب الله – ﷻ – حديث الشَّيْطان الخفي وخَطَرَاته الدنيئة مع آدم – عليه السلام – وزوجه ، الأولى منهما قوله تعالى : ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾[2] ، والثَّانية قوله تعالى : ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾[3] .

فالوسوسة في هذا السَّبيل هي البداية التي كتب لها أن تستمر إلى النِّهاية ، تحمل تكرار الحروف لتكرار الدَّلالة ، فمنذ أن ظهرت وبدت ملامحها لم تنقطع ، ولن تزول آثارها حتى ينتهي صراع هذه الحياة ، وتسكن جميع النفوس إلى بارئها سبحانه وتعالى .

(1) يوسف من الآية 64 .
(2) الأعراف الآية 20 .
(3) طه الآية 120 .

وقد ذكر أهل اللغة أن " الوسوسة : حديث النَّفْس . يقال : وَسْوَسَتْ إليه نفسه وَسْوَسةً ووِسْوَاسًا بكسر الواو[1] " .

وقيل : " الوسوسة : الخطرة الرديئة . وأصله من الوسواس : وهو صوت الحَلْي ، والهمس الخفي[2] " .

ويقال : " وَسْوَس إليه الشَّيْطان : حَدَّثه بما لا خير فيه ، ووسوس الرَّجل للرَّجل أو للمرأة : تكلَّم بكلام خفي ليغري بعمل غير صالح ، ووسوست له نفسه بأمر : حَدَّثته به وأغرته بعمله ... والوَسْوَاس : الشَّيْطان دائمًا يوسوس بالشَّرِّ ، وهو مصدر سُمِّي به الشَّيْطان من الجِنَّة أو من النَّاس[3] ... " .

ووسوسة الشيطان لآدم – عليه السلام – هي من باب " أنهي إليه الوسوسة كقوله حدَّث إليه وأسرَّ إليه[4] " .

و" قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ : يريد إليهما ، ولكن العرب تُوصِل بهذه الحروف كلها الفعل[5] " .

ويقال عن طبيعة هذه الوسوسة بأنَّ " هذا القول خاطر ألقاه الشَّيْطان في نفس آدم بطريق الوسوسة ، وهي الكلام الخفي ، إما بألفاظ نطق بها الشَّيْطان سرًّا لآدم لئلا يطلع عليه الملائكة فيحذِّروا آدم من كيد الشَّيْطان . ويكون إطلاق القول عليه حقيقة ، وإما بمجرد توجُّه أراده الشيطان كما يوسوس للنَّاس في الدُّنيا ، فيكون إطلاق القول عليهم مجازًا باعتبار المشابهة[6] ".

وقد استطاع الشَّيْطان أن يخترق جدار قلب آدم – عليه السلام – وزوجه , وذلك عندما زيَّن

(1) الصحاح 988/3 . وينظر : لسان العرب 4830/6 ، 4831 .
(2) المفردات ص 819 .وينظر : الصحاح 988/3 ، ولسان العرب 4830/6 .
(3) القاموس القويم للقرآن الكريم . إبراهيم عبد الفتاح 338/2 – 1404هـ – 1983م . وينظر : لسان العرب 4831/6 .
(4) مفاتيح الغيب 109/22.
(5) الصحاح 988/3 . وينظر : لسان العرب 4831/6 .
(6) التحرير والتنوير 325/16 .

obeikandi.com

وصَوَّر لهما الخلود والملك بمخالفة أمر الله – ﷻ – الذي نهاهما عن الأكل من الشَّجرة , وهو ما بيَّنته الآيات في كتاب الله – ﷻ – , فـ" تلك الوسوسة كانت بتطميعه في أمرين : أحدهما : قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد) ، أضاف الشَّجرة إلى الخلد وهي الخلود ؛ لأنَّ من أكل منها صار مخلدًا بزعمه ، الثَّاني : قوله : (وملك لا يبلي) ، أي من أكل من هذه الشجرة دام ملكه[1] " .

وقد " نسى آدم وزوجه تحت تأثير الشَّهوة الدَّافعة والقسم المخدر أنَّه عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير ! وأن الله أمرهما أمرًا عليهما طاعته سواءً عرفا علته أم لم يعرفاها ! وأنَّه

لا يكون شيء إلا بقدر من الله ، فإذا كان لم يقدِّر لهما الخلود والملك الذي لا يبلى فلن ينالاه ! نسيا هذا كله ، واندفعا يستجيبان للإغراء (فدلاهما بغرور) ... لقد تمَّت الخدعة وآتت ثمرتها المُرَّة ، لقد أنزلهما الشَّيْطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته ، فأنزلهما إلى مرتبة دُنيا[2] " .

وكانت هذه هي أول خُطْوة من خُطُوات الشَّيْطان وأحاديثه الدنيئة التي أثمرت وأينعت في عالم الجِنَان ، ولكن بعد أن أهبط آدم وحواء من عالم السَّماء إلى عالم الأرض بدأت رحلة الصِّرَاع بينه وبين البشريَّة جميعًا ، فتعدَّدت بعد ذلك سُبُله، وتنوَّعت أشكاله وألوانه ، فمن بني البشر ﴿ مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[3].

وبعد ، فهذه هي سُبُل الشَّيْطان السَّبعة إلى أنبياء الله ورسله ، والتي حاول من خلالها اختراق هذه النُّفوس المؤمنة الطَّاهرة ولكن هيهات أن تثمر النبتة في أرض غير أرضها ، وسماء غير سمائها ، فالشَّمس والقمر لا يجتمعان ، وكذلك الليل والنهار ، فتلك سُنَّة الله في خلقه : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[4] .

---

(1) مفاتيح الغيب 12/ 107 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه 326/2 .

(2) في ظلال القرآن 1269/3 .

(3) النحل من الآية 36 .

(4) الأحزاب من الآية 62 .

وقد حفظ الله أنبياءه ورُسُله وعصمهم من كيد هؤلاء الشَّيَاطين ونفثهم وهمزهم ، وأعانهم علي مواجهة أعدائهم من إنس وشياطين ، ورفع شانهم ، وأعلي كلمتهم ، وثبَّت أقدامهم : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

(1) المجادلة الآية 21 .

obeikandl.com

obeikandl.com